باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحصناه ترحيباً في المعارف والمباحث العلمية وتشجيعاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المكشوف باغلاطه اعظم (٣) حبر السلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الراقية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

نكبة البرامكة

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

استسمحكم العذر في ان اعود الى الحديث عن قصة العباسة ولو بي اضن بصفحات المقتطف الاغر ان تشغل بردود تعوزها الافادة ويهيجها خوف المنتقد ان ينتقصهُ النقد لاني اجد في اهمية الموضوع التاريخي ما يشفع لي في معاودة الكتابة فيهِ

انهمني المنتقد — عافاهُ الله — بأني انتقد روايتهُ واذ ذاك كان مني قبل قراءتها لانهُ لم يعرضها للتداول الاَّ بعد ردي . وانا احدثهُ عن نفسي ان كان لا يستطيع قراءة ما كتبت واؤكد لهُ اني روايتهُ لم تخطر ببالي ولا فكرت فيها ولا كانت مني على ذكر مطلقاً وقد صرحت في اول سطر من كتابي اني انتقد ما كتبهُ في مقتطف يوليو بعد تعليقكم على روايتهِ وانا انما انتقد حادثة تذكر في تعليل مأساة كبرى من فواجع التاريخ الاسلامي دعيت نكبة البرامكة قبل ان يسمي هو روايتهُ بهذا الاسم فليطمئن بال المنتقد وليعد سعي الى الموضوع التاريخي الذي اجادلهُ فيهِ الآن باعتباره احد دارسيهِ ولو لم يؤلف روايتهُ

لقد اخذ المنتقد من تكذيبي حادثة العباسة اني اتهم المؤرخين بالكذب والنفاق بعد ما عبتُ عليهِ اتهامهم بالاغراق والمغالاة واخذ عليَّ من هذا التكذيب اني « مغرض » تعمل بي الاهواء واني آخذ من التاريخ ما يوافق اميالي وانبذ ما لا غرض لي فيهِ . انا لا اخفي دهشتي من هذا الاتهام الذي تكرر من المنتقد في

مواضع من كتابته مع ردي هذا التكذيب الى نقد تاريخي اساسهُ ضعف راوي القصة المبالغ فيها كالاتيدي مثلاً او ضعف سندها في رواية الثقة كقول الطبري (احسبهُ فلان) وقولهِ (فيما زعم) الخ او توهين الرواية وتعريضها بتأخيرها وافصائها كما فعل الطبري ايضاً فيها. نقد تاريخي يعززهُ نقد عقلي يكفي لتفنيد المنصوص المحكم والتأويل فيهِ

فهل اذا عبت على المنتقد اطّراح اقوال المؤرخين ظهريًّا واتهامهم بالاغراق وعدم التروي والنَّيل منهم بشديد الاسانيب أكون قد اثبت لهم العصمة فلا املك ان اجرح رواية من رواياتهم او نقلاً من نقولهم دلُّوا هم على ضعفهِ ؟! لا اظن ان هذا يقتضي ذاك ولا يستلزمهُ. ثم ما هذا القول بالهوى والغرض الذي قذف بهِ ابن خلدون قبلي وجهني بهِ مراراً ؟ أإن قلت ان هذه القصة من المرويات الضعيفة بنفسها ورواتها او قال ابن خلدون انها غير معقولة لكيت وكيت تكون قائلين بالهوى وذوي اغراض !! ان كان ذلك فلا حيلة لمن يحكم عقلهُ ان يتحمل هذه التهمة فانها اخف من تصديق حادثة يثبت الرائي بأن يجعلها محور روايتهُ ولو لم تسلم

انما سقت اسئلتي ونقدي من نص الحادثة ولفظها الذي رويها بهِ ناقلوها واستخلصت وسائل التضعيف من صيغ ثقات الرواة واثباتهم فلن تقنعني بعد هذا تلك الاجابة الغرضية التي يجود بها علي المنتقد ناسياً ما نصوهُ وفصلوهُ

والعجب ما في امر المنتقد — وفقهُ الله — انهُ يشطر تارة في اتباع المؤرخين ويرى كثرة عددهم قوة لهُ وبعد انفراد ابن خلدون ضعفاً ثم هو بعد قليل يسمي نقول هؤلاء الكثيرين مزاعم فيقول عن مجالس السمر التي ذكروها « انها لم تكن كثيرة التواتر كما يزعمون وان هرون لم يكن يطيق صبراً على بعاد اخته » . وقد وُفّق — ايده الله — الى هذا التعمق في التاريخ الذي عرف منهُ « ان هذه المجالس انما كانت مجالس سمر ليلية اشبه بسهرات عائلية » وان هذا التعمق الذي ينقضي هو الذي جعل الامر يشكل عليَّ . مع نص رواة الحادثة الذين يعتزبهم ان الرشيد كان يقوم عن المجلس وجعفر واختهُ مُتلاقان . وهذا التعلق والهيام الشديد من الرشيد باختهِ هو اساس القصة الذي جعلهُ رواتها السبب لعقد الرشيد لجعفر عليها

وفرضوا تلك الضرورة التي جمعت البطلين حتى صارا عاشقين وجميع المؤرخين الذين استظهر بكثرتهم يرون هذا الكلف الشديد بالعباسة وشدة الحاجة اليها هو اصل القصة وحجر الاساس فيها . فاعذا التعمق الذي يخلق ردودا فرضية وهمية تدفع بها نقداً تاريخياً تعد منتقدهُ الذي يسألك الجواب عليهِ قائلاً بغرضهِ وهواهُ ؟

ولقد رد المنتقد على سؤالي عن ميزة العباسة التي لم يذكرها احد من المؤرخين بأن ذلك راجع الى ان العرب لم يعيروا المرأة اهتماماً كبيراً واستدل لذلك بقول الخليفة ما قال حين وليت شيرة الدر مصر . ولو رحت اجادل المنتقد المفترض في نصيب المرأة وحظها في التاريخ العربي لخرجت عن الموضوع الاصلي وأسهبت بما يمل . ولكني اعيد سؤالي فاقول على فرض ما ذكر لم لم يكن للعباسة من الذكر ما لعلية اختها عند هؤلاء العرب الذين لم يعيروا المرأة اهتماماً مع ما للرشيد من كبير العناية بالعباسة ؟ اسمح لي يا سيدي ان اقول لك ان الجدل التاريخي ليس اساسهُ الفروض الممكنة لانهُ وصف ما كان فعلاً لا ما كان يمكن ان يكون.

وان استيعابك جزئيات التاريخ وكلياتهِ الذي لم اوفق اليهِ لمعرفة حال العباسة اثناء حملها هذا الاستيعاب لم يوفقك الى فرض ممتنع في الرد . فهب انها كانت تسكن البصرة لا طرف بغداد فان كلف الرشيد بها الذي عدهُ من استظهرت بهم من المؤرخين اساساً للقصة يحوج الرشيد الى احضارها على جناح السرعة (كما يقال) فيحضرها على خيل البريد في ساعات ان صعب عليهِ ان تكون قريبة منهُ اذ لم يكن يصبرعنها كما ذكروا . فمن اين لك ما نفيت من كلف الرشيد بها بقولك « انهُ لم يكن كلفاً بمجالستها للدرجة التي يتصورها البعض » وفرضت لتقوية ذلك كثرة مشاغلهِ بملكهِ الواسع ؟ لقد سميت الذين ذكروا كلف الرشيد بها بعضاً فهات انت بعضاً من المؤرخين رواة الحادثة لم يذكر هذا الكلام

ولقد ذكرت يا سيدي ان الرشيد كان يعرف ان العقد كان يبيح للبرمكي « اداة واجب الزوجية » وانهُ اعتصم بسلطتهِ فأمرهُ ألا يفعل واسترسل عن هذا اسألك فاقرأ سؤالي ثانية وأجب عليهِ فانك ستجد اني اعجب من ان يحول الرشيد بين امتهِ وحظها الطبيعي من الحياة بعقد لا زواج معهُ يحرم عليها بهِ ولا شك الزواج الشرعي الفعلي ولا أخال هذه الجارية المكتملة الخَلق والخُلق كما ذكرت

ترضى لنفسها ذلك ولا بد في الامر من رأيها كما تعلم لاسيما وقضاة الرشيد أساطين فقهاء الحنفية الذين لا يرون ولاية الاجبار على الكبيرة

ثم ما هذا التناقض الغريب ؟ . لقد اثبت ان جعفراً كان يدخل عليها ويتصرف في حوائجها وينطلق بمفاتيح قصرها اذا ما خيم الغسق وقلت اذا راعينا ما بين الرشيد وجعفر من الرضاع لا نعجب من رؤية الواحد منهما لساء لآخر فاذا كان ذلك كله واقعاً فما للرشيد الا له يترسل الى الرؤية بهذا العقد العجيب ومفاتيح قصر اخته التي لا تساكنهُ معجفر . ان هذا التعمق والاستيعاب لجزئيات التاريخ وكلياته قد جعلا مسألة العقد التي هي اساس القصة عبثاً في عبث ورهاناً على اختلاقها

ثم اني والله ليذهشني منك وانت من انت في التاريخ ان تقرأ سباريّ الاخيرة التي تنقلتها عن الطبري وتراها حجة لك (من حيث لا ادري) لانك اثبت لها ولداً وتتغافل عن سطور منصوصة في المقال هي موضع الفائدة من النقل هي قول الطبري (واراد الرشيد فيما زعم قتل العبي) . وعدهُ الحادثة آخر ما ذكر من الاسباب . وتجهيله المروي عنهُ بقوله « احسبهُ فلان » . ومخالفة غيره في عدد الاولاد . وكل ذلك لو علمت مما يقيم لهُ العارفون باساليب الرواية ومصطلحها اكبر وزن

فعسى ان يغير حضرة المنتقد وجهة نظره في اساليب القرم وقواعد الجدل ويعلم ان النقد التاريخي لا يكفي فيهِ الغرض والتقدير ولا تغني كثرة عدد الرواة شيئاً في قوة الرواية وضعفها بعد ذكر اساليب التضعيف وصيغ التوهين وارجو ان يضم الى تعمقهِ في التاريخ واستيعابهِ لكلياتهِ وجزئياتهِ الدقة الضرورية في فهم نصوصهِ وعباراتهِ ولا يعد عرض الرواية على العقل قولاً بالهوى ولعباً بالحقيقة فانهُ ان فعل ذلك كان أعدل رداً واحكم اسلوباً وأدق حكماً . وليعلم ان ما يفرضهُ المتخيل ليخلق هيكل قصة لا يكفي المؤرخ ليقد حادثة والسلام

امين الخولي

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

(المقتطف) لا نرى موجباً للاستمرار في هذه المناظرة وحبذا لو حاضرة الفاضل امين الخولي وبين الاسباب التي حملت بعض المؤرخين على تعليل نكبة

البرامكة بحادثة العباسة مستدلاً عليها بما يستدل به علماء التاريخ . ولما قلنا في تقريظ الرواية ان نكبة البرامكة من الحوادث التي اختلف المؤرخون في اسبابها كان القائم في ذهننا مما قرأناه عرضاً في مختلف التواريخ ان قصة العباسة موضوعة وقد اقحمت لغرض سياسي ولكن لم نتمكن من جمع الادلة التي تؤيد ذلك او تنفيه

منارة الاسكندرية

سادتي الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الزاهر

اذا ذكرت عجائب الدنيا القديمة كانت منارة الاسكندرية في مقدمة هذه العجائب ولكننا لم نقف على صحيح الاقوال فيها وفي الغاية التي عملت من اجلها . والعلامة المقريزي هو الذي شيع القول فيها في خططه اكثر من سواه فنحن نعلم ومع ذلك فان في قوله ما لا يصح الركون اليه ولا التعويل عليه اذ هو بالطرافة اشبه منه بالحقيقة كقوله

« ان الاسكندر جعلها — اي المنارة — مرقباً وانه جعلها على كرسي من »
« زجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل »
« في البحر من الثبر وجعل على اعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد »
« اشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك الى ان قال »

« ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا »
« دنا وجاز ان يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من »
« مسافة ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم فيرمقونه بابصارهم »
« ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتاً بخلاف ما صوت »
« في الساعة التي قبلها وصوته مطرب »

وقال بعد ذلك اقوالاً يفهم منها انها كانت باقية تؤدي عملها لزمن الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي وان ملك الروم المعاصر له احتال عليه بحيلة حتى هدمها وبطل مفعول المرآة من ذلك الوقت وبعد ذلك انكشفت الحيلة للخليفة فندم حيث لا ينفعه الندم

اما ما قالهُ المقريزي عن عظم المنارة وارتفاعها الخ وما كانت تشتمل عليهِ من المباني فما يفوق حد التصديق (راجع الصحيفة ٢٥١ وما بعدها جزء طبع مصر سنة ١٣٢٤ هجرية)

غير انهُ بالرغم عما في ذلك من المبالغة فان لمنارة الاسكندرية شأناً في التاريخ ولامر ما عدت احدى العجائب السبع القديمة بيد انهُ لا يوجد الآن بالاسكندرية اثر ظاهر او خفي يدل على المكان الذي كانت بهِ من المدينة ولا نظن علماء الآثار والتاريخ اغفلوا البحث عن هذا المكان والمعروف ان المقتطف في مقدمة العلماء الذين عنوا بذلك العناية التامة ولفتهم الانباه الصحيحة عن هذه المنارة والنقطة التي كانت بها من المدينة الحالية فان تكرمتم على قراء المقتطف بكلمة تاريخية عن المنارة ومنشئها وما عرضهُ منها والزمن الذي تلاشت فيهِ وسبب هذا التلاشي تكونوا اديتم اعظم خدمة للوطن والتاريخ

وان وجدتم في مجال القول متسعاً لذكر كلمة اخرى عن صعود السواري تكونوا قمتم بادا ما لهُ من حق النفسة الذي لهُ بسبب الجوار فضلاً عما لهُ من الشأن العظيم وتخبط علماء التاريخ بشأنهِ تخبطهم في المنارة وامثالها كبير في قراءة هاتين الكلمتين العظيمتين في المقتطف الذي يصدر في اول دسمبر المقبل وما ذلك على همتكم وسعة اطلاعكم بعزيز طنطا محمد حافظ

(المقتطف) كتبنا عن هذه المنارة كتابة مختصرة في مقتطف ابريل سنة ١٨٨٤ . وكلام ياقوت الحموي عنها في معجم البلدان حسن جداً لانهُ رآها وقاسها ورسمها وقد كانت مبنية شرقي المنارة الحالية على ٣٠٠ قدماً منها ومحلها برج الظفر (البرج الزفر) الذي هدم وبنيت محلهُ طابية قائد بك . وترون كلاماً مسهباً عن هذه المنارة جامعاً بين الغث والسمين في الجزء السابع من الخطط التوفيقية صفحة ٣٨ و٣٩ . ومن ذلك قولهُ « ان المنارة خربت في القرن الحادي عشر ومحلها الآن البرج الزفر الذي هو محل طابية قائد بك الذي في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس . وما ذكرهُ استرابون وغيرهُ يؤيد ذلك فقد ذكر ما معناهُ ان النهاية الشرقية من الجزيرة عبارة عن صخرة محاطة من جميع جهاتها والمنارة فوقها عبارة عن برج من جملة طبقات مبنية بغاية الاحكام من الرخام الابيض »